

جودت رستم حيدر «شكسبير العرب»



الشاعر جودت رستم حيدر

بِقَلْمِ رِيمُونْ قَسِيس

هذا الأسدى الجذور الرستمي الاب والحيدري الأصل، وجهه ما تغضن وجبينه ما تجدد، وعييناه ما زالتا تشعن كلؤوتين وميضمهم السحر والبهاء، يحمل التسعة والتسعين حولاً من غير أن ينحني ظهره، كأنه الرمح الردينى القويم، الرشيق، الرصيف، انه الشاعر الكبير جودت رستم حيدر، شكسبير العرب كما لقبه النقاد الغربيون.

قال فيه صديقه الشاعر أديب فرات:

شاعر الإلهام والفكر الذي
شق بالإشعاع ستر الغيوب

من ينسج لنا عالماً مميزاً تنداح فيه «أصداء»، أورفيوس وببروت وروما كيتيس وجورج ميلر ورفيقه عمره الراحلة « مليحه » وابنه الراحل بسام رحمة، الله، وتنسم «أصوات» جبران وروبرت فروست وغاندي وبونبرت وأثار بعلبك، وتمتد «ظلال» مي زياده وخليل مطران ولورد بايرون ومهرجي لبنان.

من يكون هكذا أفالاً يقال فيه: إنه اللغز الغزل بلا زغل؟ تقرأ في عينيه ما لا يقرأ إلا فيهما، ولا غرابة في ذلك! فمن يخاطب من جديد جبران وتعيمه ونور سليمان وشيللي وتورد بايرون والحب والبحر والأمل الصائع والموسيقى التي قال فيه نيتشيه: إنها الهدا وبدونها تمسي الحياة في ضلال.. ومن يكون الرجل الخرق كم السوبرمن او زرادشت أفالاً يمسح فيه القول: إنه صاحب العطاءات الكبار النوادر؟ قصائدك كما اللآلئ في المحار، إن شئت أن تصطادها فعليك أن تغوص في الأعماق، فالبحر شاسع الأبعاد، عميق الأغوار، تتجاذبك أمواجه وتقتذفك بك إلى البعيد البعيد حيث لا أمامك ولا وراءك إلا ستائر الغيب التي لا تهتك إلا لكتاب الرائيين، رجل الملة إلا واحداً أجالسه ولو على ندرة فازداد حباً وشغفاً، وانتصب إليه وهو يهمس أو يتلمس كلماته بلطف وتودة فيعروني شعور بالكـ على دعـة، واستـفـ من نـزـاتهـ عـبرـاتـ وـمـنـ شـفـتهـ عـبـراـ.ـ يـشـدـنـيـ اـنـ توـقـهـ إـلـىـ الـأـفـضـلـ وـالـأـرـقـىـ وـالـأـشـمـلـ وـالـأـعـمـ.

بسـمعـنيـ بـعـضـاـ مـنـ كـتـابـاتـهـ التـعـرـيـةـ الشـكـسـبـيرـيـةـ الضـبـابـيـةـ عـلـىـ شـشـةـ اوـنـتـفـاـ مـنـ مـقـطـعـاتـهـ النـثـرـيـةـ الـعـرـبـيـةـ الرـائـعـةـ وـاـنـاـ وـبـعـضـ الـاصـدـقاءـ.ـ وـبـدـ فيـ مـجـلـسـ أـدـبـ اوـ فـيـ شـبـهـ نـدوـةـ اوـ فـيـ لـقـاءـ حـمـيـمـيـ يـنـفـحـتـ فـيـ حـيـدـريـ وـلـاـ أـصـفـيـ وـلـاـ أـنـقـيـ.

هـذـاـ الـكـبـيرـ أـسـسـ «ـواـحـةـ الـأـدـبـ فـيـ الـبـنـاءـ»ـ وـلـمـ يـرـضـ إـلـاـ أـنـ أـكـوـنـ نـائـبـ الرـئـيـسـ فـيـهـ،ـ فـحـبـ الـكـبـارـ دـوـمـاـ يـوـمـ وـدـوـمـاـ يـزـارـ.ـ أـسـسـهـاـ وـرـسـمـ شـعـارـهـ الـفـنـانـ الـبـقـاعـيـ الـمـبـدـعـ فـيـرـوزـ شـمـعـونـ وـقـدـ مـحـسـىـ عـلـىـ تـأـسـيـسـهـ زـاهـ ثـمـانـيـةـ أـعـوـامـ وـهـيـ تـضـمـ شـلـةـ مـنـ أـدـبـاءـ وـشـعـرـاءـ بـقـاعـيـنـ مـنـ بـيـنـهـمـ خـمـسـةـ زـحـلـيـنـ هـمـ:ـ الـدـكـتـورـ يـوـسـفـ شـرـيمـ،ـ الـدـكـتـورـ جـوـزـفـ خـرـقـ،ـ الـحـامـيـ وـجـيـهـ حـدـادـ وـرـاسـمـ الـشـعـارـ وـاـنـاـ.

وهـنـاـ أـحـسـنـ وـالـغـبـطـةـ تـمـلـأـ كـيـانـيـ أـنـتـ فـيـ نـشـوـةـ يـوـمـ ضـربـ لـزـحـلـةـ مـعـ بـعـلـبـكـ أـحـلـىـ الـمـوـاعـيدـ وـأـصـفـاـهـاـ،ـ حـيـثـ فـاضـتـ قـرـائـبـ الـشـعـرـاءـ الـرـحـلـيـنـ الـأـفـادـادـ،ـ فـرـيـنـوـاـ جـيـدـهـاـ بـخـرـائـهـمـ وـقـلـائـهـمـ مـنـ مـثـلـ سـعـيدـ عـقـلـ وـخـلـيلـ فـرـحـاتـ وـالـمـعـالـفـةـ وـمـيـشـالـ طـرـادـ وـأـنـيـسـ خـورـيـ وـالـيـاسـ حـبـشـيـ كـمـ اـتـوـجـ هـامـتـهـ اـبـنـاـ الـحـيـدـريـ الـرـابـضـ إـرـاءـهـاـ أـوـانـ تـغـنـىـ بـأـثـارـهـاـ وـهـيـاـكـلـهـاـ وـمـعـابـدـهـاـ،ـ وـالـقـيـمـ فـيـ دـارـتـهـ الـعـامـرـةـ الـتـيـ يـؤـمـهاـ كـبـارـ الـسـيـاسـيـنـ وـالـرـسـمـيـيـنـ وـالـمـفـكـرـيـنـ وـالـأـدـبـاءـ وـالـشـعـرـاءـ الـأـتـيـنـ مـنـ كـلـ حـدـبـ وـصـوبـ،ـ أـذـكـرـ مـنـهـمـ مـحـبـتـيـ لـلـآـخـرـيـنــ المـفـكـرـ الـدـكـتـورـ شـوـقـيـ خـيرـالـلـهـ وـالـشـاعـرـ الـكـبـيرـ شـاعـرـ هـايـدـغـرـ وـهـوـنـدـرـلـنـ وـعـلـامـاتـ الـزـمـنـ الـأـخـيـرــ الـاستـادـ فـؤـادـ رـفـقـهـ.

جـودـتـ حـيـدـرـ حـاـوـرـتـهـ زـيـنـبـ حـمـودـ أـكـثـرـ مـنـ مـرـةـ عـبـرـ الصـفـحةـ الـثـقـافـيـةـ مـنـ هـدـدـ الـجـريـدةـ الـغـرـاءـ،ـ كـمـ حـاـوـرـهـ كـثـيـرـوـنـ وـكـرـمـ أـكـثـرـ مـنـ مـرـةـ وـفـيـ أـكـثـرـ مـنـ مـنـاسـبـ حـتـىـ بـاتـ عـلـىـ كـلـ شـفـةـ وـلـسـانـ.

شـعـرـ الـأـنـكـلـيزـيـ قـلـيلـ عـلـىـ جـودـةـ،ـ حـتـىـ لـيـخـيلـ إـلـيـكـ أـنـ هـذـاـ الشـعـرـ مـدـارـهـ الـكـوـنـ وـالـوـجـودـ،ـ وـتـرـوـحـ تـسـالـ عنـ مـاهـيـةـ هـذـاـ الـوـجـودـ وـمـدـارـ الـكـيـنـونـيـ،ـ أـنـهـ الـدـرـيـةـ فـيـ اـمـتـاقـ الـبـرـاعـ،ـ وـالـوـرـقـ يـتـلـقـفـ يـقـطـاتـ الـبـصـيرـةـ بـلـهـفـةـ وـحـذـرـ فـيـ آـنـ،ـ فـالـشـاعـرـ ضـنـيـنـ وـحـرـيـصـ فـيـ اـخـتـيـارـ الـكـلـمـ حـيـثـ وـسـيـلـةـ التـعـبـيرـ تـؤـديـ مـاـ مـؤـادـ دـوـنـ أـنـ يـرـفـلـ إـلـازـ شـعـرـهـ أـوـ يـدـيـلـهـ لـتـلـاـ يـقـعـ فـيـ شـطـطـ أـوـ فـيـ كـلـامـ سـابـعـ لـأـطـالـ تـحـتـهـ،ـ أـنـ الـإـيـجـارـ الـمـسـبـعـ الـمـكـتـظـ بـالـصـورـ وـالـأـفـكـارـ،ـ بـضـعـ صـفـحـاتـ كـانـهـ مـجـلـدـاتـ،ـ قـصـائـدـ كـقـطـرـاتـ نـدـيـ رـاجـيـ الـرـاعـيـ اوـ رـبـاعـيـاتـ الـخـيـامـ اوـ خـمـاسـيـاتـ سـعـيدـ عـقـلـ اوـ هـوـاجـسـ جـمـيلـ صـدـقـيـ الزـهـاوـيـ.

الـأـحـتوـانـيـةـ عـنـدـ مـتـدـرـةـ،ـ بـدـيـارـ غـرـبـيـ مـتـأـنـقـ عـلـىـ رـازـانـ،ـ شـفـافـ عـلـىـ مـتـانـةـ،ـ وـالـقـافـيـةـ لـأـيـمـنـاـ حـرـونـ وـلـاـ نـفـورـ بـلـ تـرـاهـاـ تـسـلـسـ عـلـىـ قـيـادـ لـأـنـفـلـاتـ فـيـهـ،ـ وـتـعـدـ وـيـسـتـحـيلـ إـبـدـالـ كـلـمـةـ بـأـخـرـىـ،ـ كـانـمـاـ الـقـصـيـدـةـ مـنـزـلـةـ مـنـ فـوـقـ يـحـمـلـهـ الـخـيـالـ اوـ الـأـيـحـاءـ الـغـائـرـ الـأـتـيـ مـنـ وـرـاءـ الـأـسـدـافـ عـلـىـ صـهـيـلـ حـصـانـ أـيـضـ مـذـكـىـ ذـيـ غـلـبةـ اوـ عـلـىـ سـحـائبـ بـجـسـ.

جـودـتـ حـيـدـرـ الـأـلـيـقـ الـأـلـقـ،ـ الـقـدـيرـ الـخـيـرـ الـصـنـاعـ فـيـ «ـأـصـدـاءـ»ـ وـ«ـأـصـوـاتـ»ـ وـ«ـظـلـالـ»ـ،ـ وـالـمـسـتـرـسـلـ بـلـ حـدـودـ فـيـ نـشـرـيـاتـهـ الـفـكـرـيـةـ الـعـمـيـقـةـ كـانـمـاـ لـغـتـهـ الـأـمـ،ـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ الـعـمـيـتـةـ الـبـحـورـ،ـ الـشـاهـقـةـ الـجـبـالـ وـالـمـنـبـسطـةـ الـسـهـولـ أـرـفـدـتـ بـكـلـمـاتـهـ وـمـرـادـفـاتـهـ وـأـسـدـادـهـ وـهـدـتـهـ سـوـاءـ السـبـيلـ.

وـأـخـيـراـ يـطـيـبـ لـيـ أـنـ أـخـتـمـ كـلـمـتـيـ بـهـذـهـ لـأـبـيـاتـ:

كـبـيرـ أـنـتـ فـيـ دـنـيـ الـكـبـارـ
سـوـ أـسـدـ (٢)،ـ بـنـوـ أـصـفـيـ نـجـارـ
جـذـورـكـ مـنـبـهـ سـقـتـ فـرـوعـاـ
وـبـاسـقـةـ الـعـلـىـ وـرـفـتـ بـسـدارـ
لـشـجـ شـاعـرـ اـعـظـمـ اـقـتـدارـاـ
وـأـجـودـتـهـ غـدـتـ مـجـلـىـ اـفـتـخارـ
وـرـسـتـمـ حـيـدـرـ كـبـرـ اـعـتـازـاـ
مـنـ كـبـرـتـ بـحـارـ زـاخـرـاتـ
كـمـ اـكـبـرـتـ بـحـارـ زـاخـرـاتـ
وـهـامـ الـغـرـبـ تـوـجـ بـالـوـقـارـ

(١) - أـصـدـاءـ،ـ أـصـوـاتـ وـظـلـالـ ثـلـاثـةـ دـوـاـوـينـ شـعـرـيـةـ بـالـلـغـةـ الـأـنـكـلـيزـيـةـ للـشـاعـرـ حـيـدـرـ

(٢) - جـدـ العـانـلـةـ هـوـ مـنـ بـنـيـ أـسـدـ فـيـ الـعـرـاقـ